اللص



بقلم : أ . عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : أ . إسماعيل دياب
إشراف : أ . حمدى مصطفى

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

كانَ الأَحْدبُ الْمَقْتولُ هو مُهرِجُ الْملكِ ومُضْحِكُهُ ، وكانَ الْملكُ يأْنسُ به ، ولا يقْدِرُ أَن يغيبَ الأَحدبُ عنْ مَجْلسِه ليلةً ، لما يُشيعُه مِنَ الْبهجَةِ والسُّرورِ فى نفْسِه ..

فلما تغَيَّبَ الأَحدبُ عنْ مجلسِ الْملكِ تلْكَ اللَّيلَةَ افْتَقَدهُ ، لكنهُ لمْ يتصوَّرْ أَنهُ مِنَ الْممكنِ أَنْ يكونَ قدْ حدثَ لَهُ مكْروهٌ ، فلما انْقضَى مُعْظَمُ النَّهارِ التَّالِى ، ولمْ يحْضرِ الأحدبُ إلى الْقصْرِ ، قلِقَ الْملكُ بشأْنِه ، وسأَل عنْه ، فعلِمَ مِنْ بعضِ حُرَّاسِ قصْرِه أنْ الأَحدبَ قد قُتِلَ فى اللَّيلةِ السَّابِقةِ ، وأَنَّ رئيسَ الشُّرْطةِ ، كلَّما حاولَ شنْقَ قاتِلهِ ظهَرَ شخْصٌ آخرُ وادَّعى أَنهُ هو قاتِلُه ، وهكذا حتَّى صارَ مَنْ يدَّعونَ قتْلَ الأَحدبِ أَرْبعَةَ أَشْخاصٍ ..

ولذلكَ أَرسلَ الْملكُ إلى رئيسِ الشُّرْطةِ أَنْ يُحْضِرَ إليْهِ جثَّةَ الأَحدبِ وقاتِلِيهِ الأَرْبعَةَ .

وهكذا نفَّذَ رئيسُ الشرطَةِ أَمْرَ الْملكِ ، فأَمَر بحمْلِ جثَّةِ الأَحْدبِ ، وأَخذ الْقَتَلَةَ الأَربعَةَ إلى قصْرِ الْملكِ ، فلما دخَلوا عليْه ، انْحنَى الْجميعُ احْتِرامًا لهُ ، وحكَى له رئيسُ الشُّرْطةِ ما حدَثَ ،



فتعَجَّبَ الْملكُ وقالَ :

ـ ما رأَيْتُ ولا سَمِعْتُ بأَعْجبَ مِنْ هذه الْحكايَةِ ..

ومَنْ حكَى لى حِكايةً أعْجَبَ وأَغْربَ منْها أطْلقْتُ سَراحَه .. وإلا أمَرتُ بقتْلِكُمْ جميعًا قِصاصًا لِمُضْحِكِى الذى قتلْتُموه ..

فتقدمَ التاجرُ وقالَ :

ـ إذا أَذِنْتَ لِى يا مَلِكَ الزَّمانِ ، حدَّثْتُك بحكايةٍ وقعَتْ لى

هى أَعْجَبُ وأَغْربُ مِنْ حكايةِ موْتِ مُهرِّجِكَ الأحْدَبِ ..

فقالَ الْملكُ :

ـ قد أذِنْتُ لكَ ، فما هى هذه الْحِكايةُ ؟!

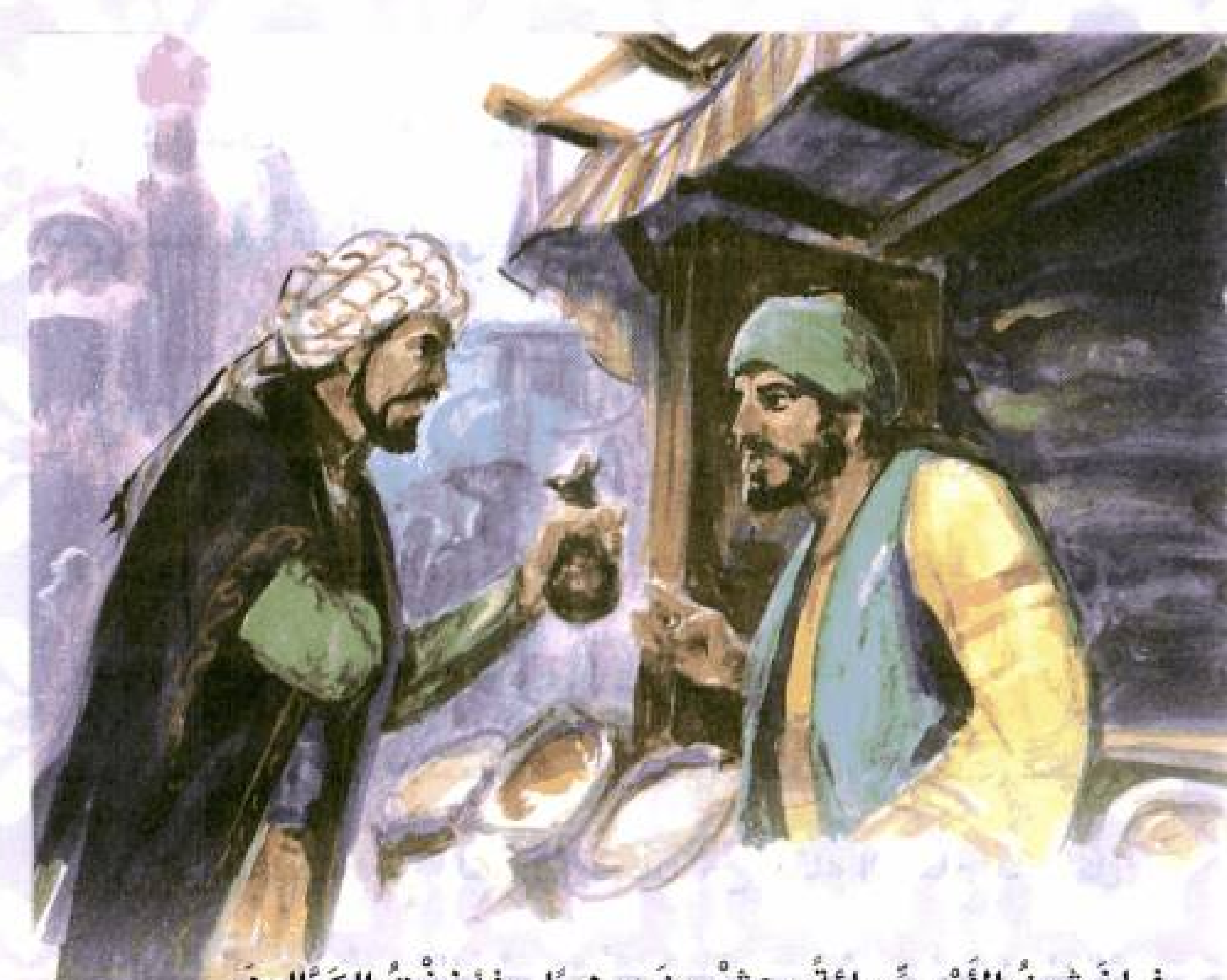
فبدأَ التاجرُ يحْكى حِكايَتَهُ قائلاً :

ـ لقدْ كانَ والِدى مِنْ مصرَ وكانَ يعملُ سِمْسَارًا فى التِّجارَةَ ، فلما تُوُفِّىَ ورِثْتُ عنْه دكّانَه وتجارَتَه .. وذاتَ يْومٍ كنتُ جالسًا فى دُكّانِى ، فجاءَنى شابٌ فى غايةِ الْحُسْنِ والأَدبِ ، عليهِ أَفْخَرُ الثِّيابِ ، فحيَّانى وقدَّم لى مِنْدِيلاً فيهِ عيِّنَةٌ مِنَ السِّمْسِمِ ، وقالَ لى : كَمْ يُساوى الأَرْدبُّ منْ هذا السِّمْسِمِ الْمَقْشورِ ؟!

فقلتُ له : حوالى مائةِ درهَمٍ ..

فقالَ لى : عِنْدى كَمِّيةٌ كبيرةٌ منْ هذا السِّمْسِمِ ، وأُريدُ أَنْ تبيعَها لى ، فخُذْ هذه الْعينَةَ ، ودُرْ بها على التجّارِ ، ثمَّ أَحْضرِ الْحمَّالينَ والكيَّالينَ ، وتوجَّهْ إلى (خانِ الْجوالى) فى (بابِ النَّصْرِ) تَجِدْنى هناكَ ..

وتركَ لى عينَةَ السمْسمِ وانْصرَفَ ، فدُرْتُ بها على التُّجارِ ،



فبلغَ ثمنُ الأَرْدبِّ مائةً وعشْرينَ دِرهمًا ، فأخذْتُ الكَيَّالينَ والْحمَّالينَ وتوجَّهتُ إلى (بابِ النَّصْرِ) فوجَدْتُ ذلك الشَّابَّ فى انْتِظارى ، فقامَ إلى الْمخْزنِ ففتحَهُ ، وكيَّلْنا ما فِيه مِنْ سمْسمٍ ، فوجَدْناهُ خمْسينَ أَرْدبًا ، فقالَ لى الشابُّ : بع هذا السِّمْسمَ ، واقْبِضْ ثمنَهُ ، فاحْتفِظْ به ، ولكَ فى كلِّ أَرْدبٍّ عشرةُ دراهمَ سَمْسرةً .. احْتفِظْ بالثَّمنِ عنْدكَ ، حتى أَعودَ إليكَ فآخُذَهُ منْكَ ..

فقلتُ له : لكَ ما تشاءُ يا سيِّدى ..

وهكذا غابَ عنِّى ذلكَ الشابُ شهْرًا ، كُنْتُ قد تمكَّنْتُ خِلالَهُ منْ بَيْعِ السمْسمِ ، فلما جاءنى حاولْتُ إعْطاءَهُ ثمنَهُ ، فقالَ لى :

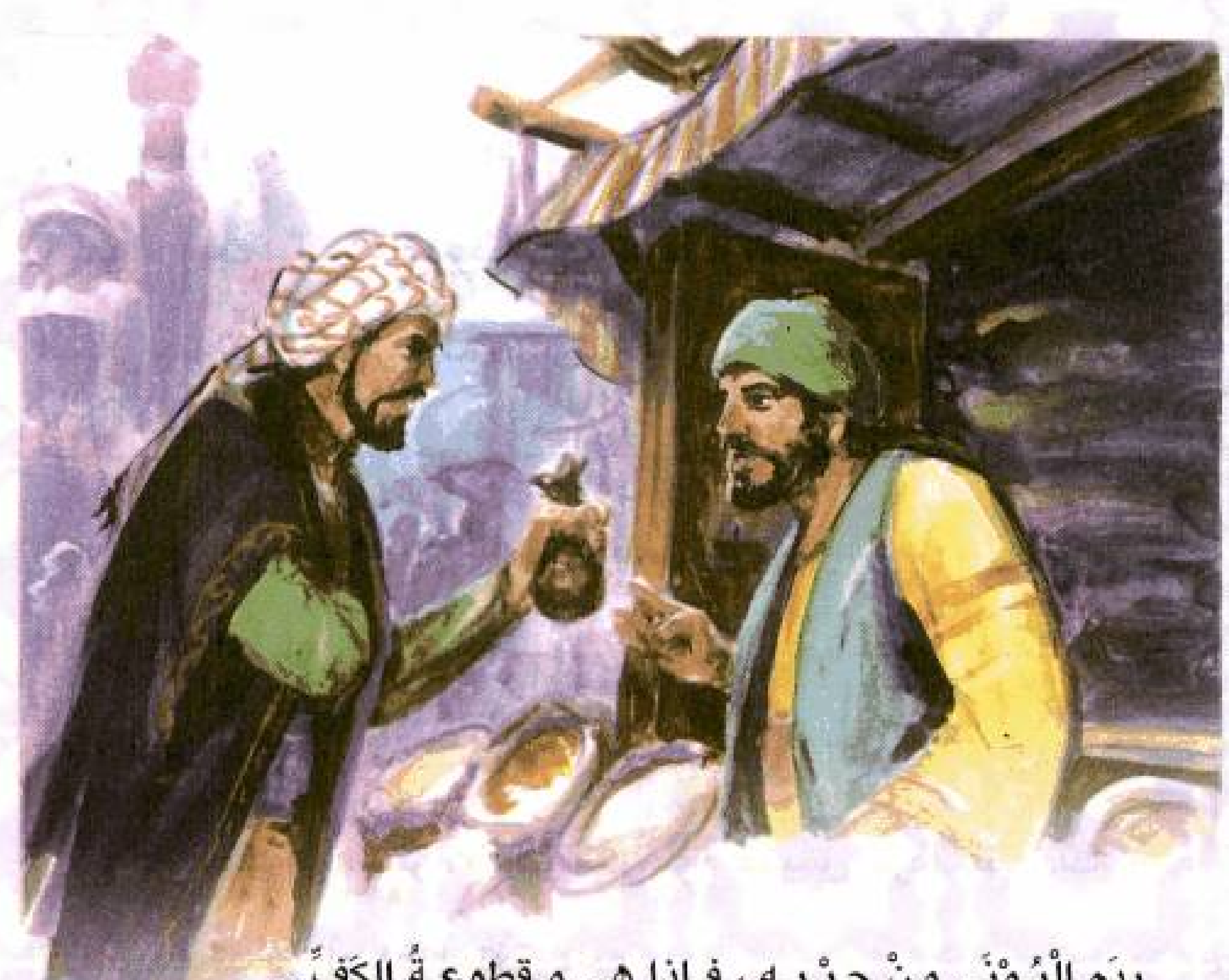
ولِمَ الْعجلَةُ ؟! احْتفِظْ به عنْدكَ حتى أَعُودَ إليكَ ..

وهكذَا غابَ عنِّى شهْرًا آخر ثمَّ جاءنِى وعليْهِ ثيابٌ فاخِرَةٌ ، فقمْتُ وأَحْضَرْتُ له الدَّراهِمَ وعدَدْتُها له دِرهمًا دِرْهمًا بالتَّمامِ والْكمالِ ، فأَخذها وشكَرنى على أمَانَتى ، ثمَّ أَخذ أكْياسَ الدَّراهِمِ بيَدِهِ الشِّمَالِ ، وهمَّ بالانْصرافِ ، فأَقْسَمْتُ عليْهِ أنْ يتغدَّى معى ، فوافقَ إكرامًا لخاطِرى ، لكنَّنِى لاحظْتُ فى أثْناءِ الطعامِ أنهُ يأكلُ بيَدِهِ الشِّمالِ ، وأنَّ يدهُ الْيُمْنى مدْسوسةٌ فى جَيْبِ جلْبابِهِ طوَالَ الْوقْتِ ، فتعجَّبْتُ منْ ذلك وقلتُ له :

- لماذَا أكلْتَ بيدكَ الشِّمالِ يا سيِّدى ، هلْ فى يدكَ الْيُمْنَى شىءٌ يؤْلمكَ ؟!

فبانَ الألمُ فى وجْههِ ، وزفرَ زفْرَةً حارَّةً تُعَبِّرُ عنْ ألَمِه الداخلىِّ وقالَ :

- إنَّ لذلكَ قِصَّةً طويلةً ، سوْفَ أُحاولُ أنْ أُوجزَهَا لكَ .وأخْرج



يدَه الْيُمْنَى منْ جيْبِهِ ، فإذا هى مقطوعةُ الكَفِّ ..

فتألمتُ منْ أجْلهِ ، وواصلَ هو حَدِيثَه قائلاً :

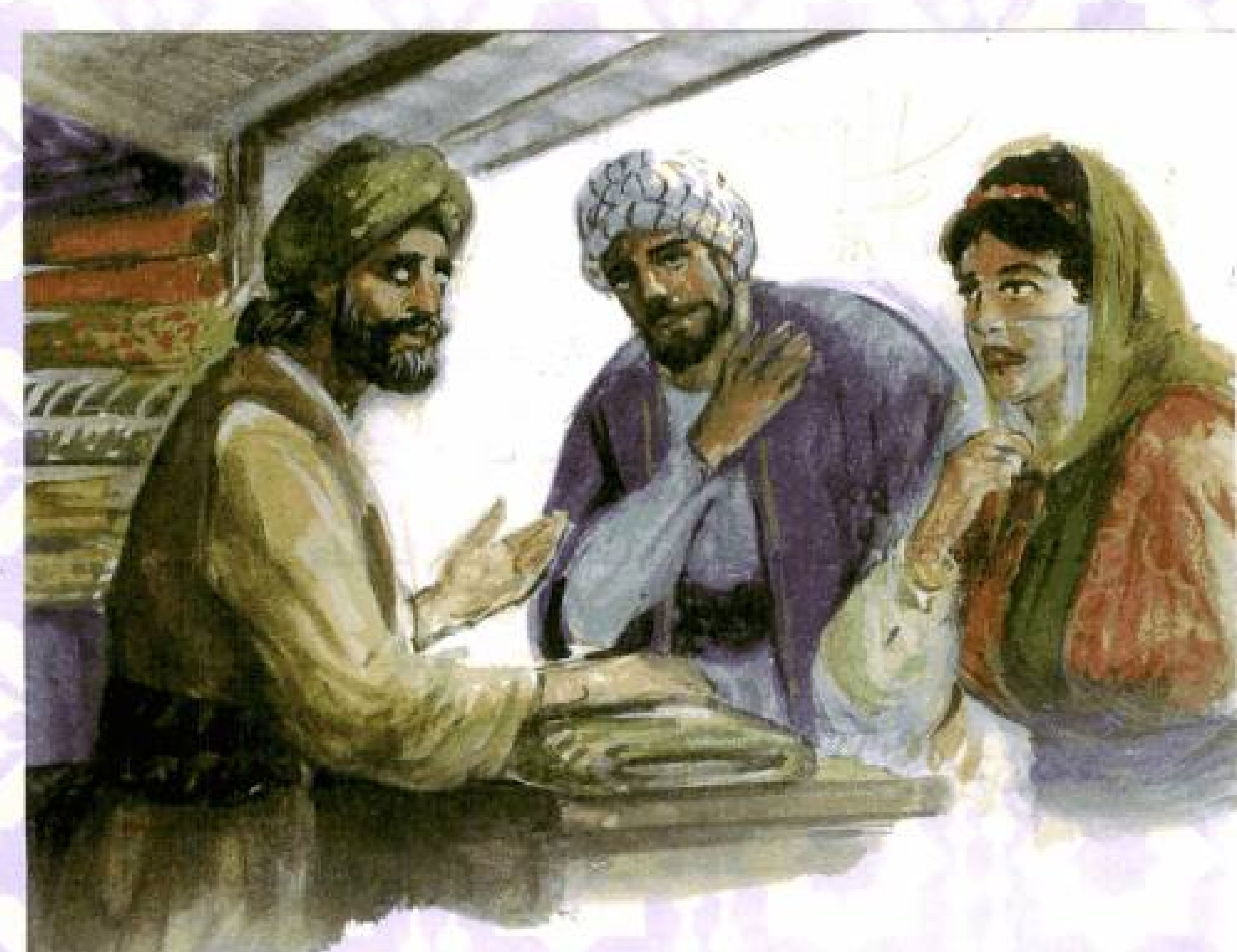
- إنَّ وراءَ قطْعِ يدى هذه قصَّةً طويلةً .. لقدْ كُنْتُ تاجرَ قُماشٍ منْ بَغْدادَ ، وقدْ سمِعْتُ عنْ رَوَاجِ التجارَةِ بالدِّيارِ الْمصْريةِ ، فاشْتَريْتُ أَقْمشةً فاخِرةً كثيرةً ، وجئْتُ بها إلى مصْرَ ، ونزلْتُ بأقمِشَتِى الثَّمينَةِ فى (خانِ مَسْرورٍ) لكنَّ بضاعَتِى لمْ تأْتِ بالثَّمنِ الذى اشْتَرَيْتُها به منْ بَغْدادَ ، بدُونِ رِبْحٍ ، وبدُونِ أُجْرةِ السَّفرِ ،

وأَجْرِ الْغِلْمانِ الذينَ رافَقُونى فى الرِّحْلةِ ، فاغْتَمَمْتُ لذلكَ غمًا شديدًا ، وبِتُّ ليْلَتى مَهْمومًا لهذهِ الرحْلَةِ الْفاشِلةِ .. وفى الْيَوْمِ التَّالِى جاءَنى شيْخُ الدَّلالينَ وعرضَ علىَّ أَنْ أَبيعَ بضاعَتى لأَحدِ التُّجارِ ، على أَنْ أتقاضى ثَمَنَها مُؤَجَّلاً مع ربْحٍ مَعْقولٍ ، بَدلَ الْعَوْدةِ بها إلى بَغْدَادَ ، وعلَى أَنْ أَقْبضَ كلَّ يوْمِ خمَيسٍ جزءًا مِنَ الثمَنِ ، فوافَقْتُه ، وبِعْتُ بضاعَتِى إلى تاجرٍ مشْهورٍ ، وكتَبْنَا صَكَّ الدَّيْنِ بذلكَ ..

وهكذا أَقمْتُ فى مِصْرَ ، وأَخذْتُ كلَّ يوم خَميسٍ أَترَدَّدُ على ذلكَ التَّاجرِ ، فأَقْبِضُ الْمَبلغَ الْمتُفَّقَ عليهِ ..

وذاتَ يومٍ كنتُ جالِسًا مع ذلكَ التَّاجرِ ، فجاءَتْ سَيِّدَةٌ إلى الدكَّانِ ، لِتشْترِىَ قطْعَةَ حريرٍ مِنَ الْمنَسْوجِ بخُيُوطِ الذهَبِ ، فعرضَ علَيْها قطعَةً منَ الْقُماشِ الذى بعْتُه إيَّاهُ ، قدَّر التاجرُ ثمنَها بألْفِ درهَمٍ ، فقالَتِ السيِّدَةُ :سآخُذُ الْقُماشَ ، ثمَّ أُرسلُ لك ثمنَهُ مع خادِمَتى ..

فرفضَ التاجرُ ـ برغْمِ أَن السيدَة كانتْ تَبْدوُ عليها مظاهِرُ الثَّراء ـ



وهمَّ بأنْ يأخُذَ الْقُماشَ منْها ، وقالَ لها إنهُ يحتاجُ إلى الثمنِ ، حتى يُكْمِلَ نقُودى .. وهمَّتِ السيدةُ بأَنْ تنصَرِفَ ، فقلتُ للتاجرِ : أَعْطِها الْقماشَ ، واخْصِمِ الأَلْفَ دِرهَمٍ منْ دَيْنى عنْدكَ ، وقلتُ للسيدَةِ : خُذِى الْقُماشَ ، وإنْ شئْتِ فأَحْضِرى ثمنَهُ فى السُوقِ الْقَادِمِ ، وإنْ شئْتِ فهو هدِيَّةٌ متواضِعَةٌ مِنِّى .. فشكرتْنِى وانْصرَفَتْ ، بعْدَ أنْ قالتْ : لابُدَّ أَنْ نرُدَّ لك هذا التكرُّمَ بمثْلِه وبأَحْسَنَ منْهُ يا سَيدِى ..

وسكَتَ التَّاجِرُ الشابُ ، ثمَّ واصلَ حديثَهُ قائِلاً :

ـ ومِنْ عَجائِبِ الْمُفارَقاتِ أَنَّ هذه السيدَةَ الْكريمَةَ قدْ صارَتْ زَوْجَتِي .. واكتشَفْتُ أَنها ثريَّةٌ أكثَر ممْا كُنْتُ أَتصورُ ، لكننى أقْسمُ لك إننى لمْ أَتزوجْها مِنْ أَجْلِ مالِها ، والدَّليلُ على ذلكَ أَننِى اشترْطتُ عليها قبْلَ زواجنَا أَنْ أَقومَ أَنا بالإنفاقِ عليها وعلَى الْبيتِ وعلَى خَدَمِها ..

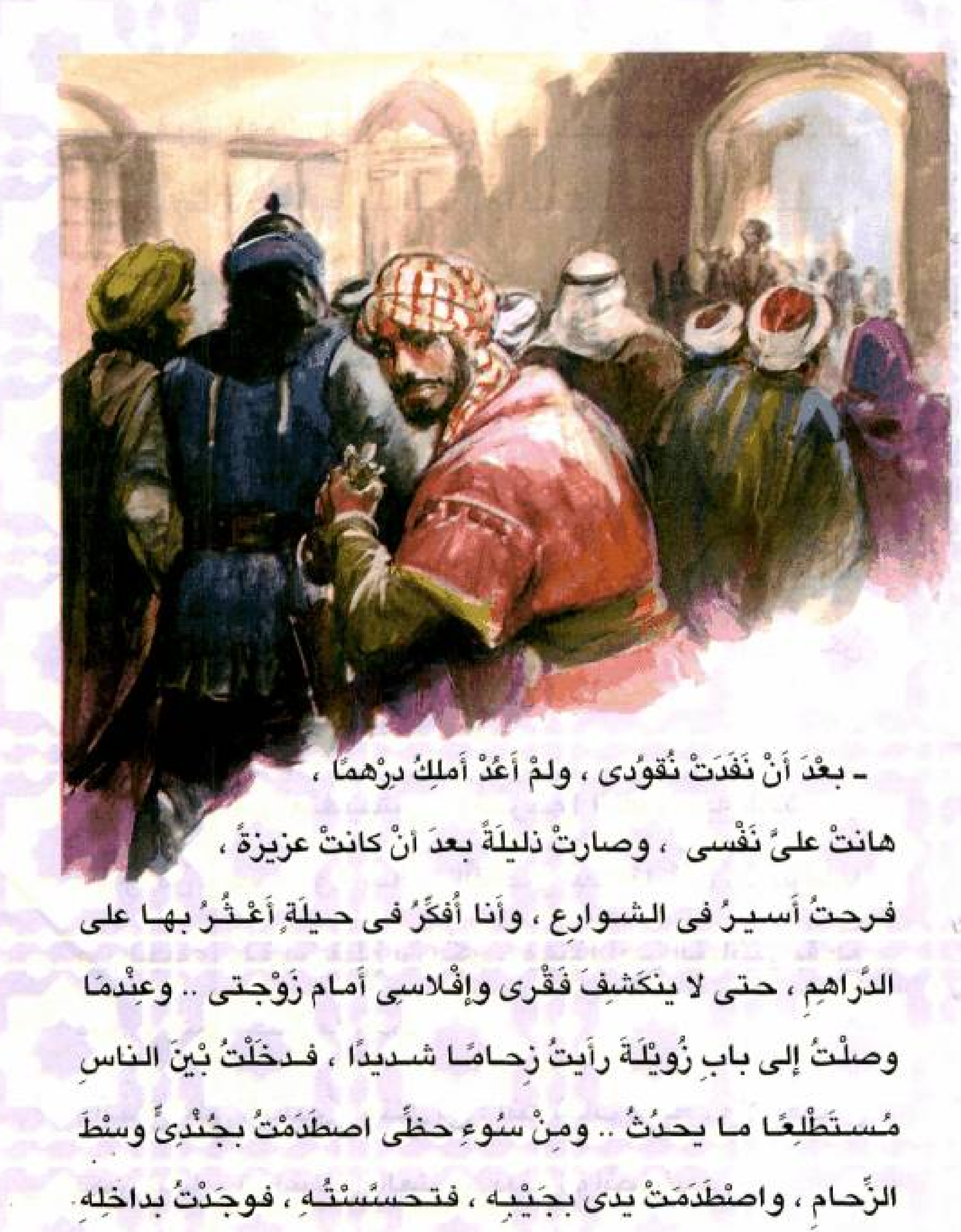
وهكذَا صرْتُ كلما حصَّلْتُ مَبْلغًا منْ ثمنِ تجارتى صَرَرْتُهُ فى مِنْديلٍ ، وقدَّمتُه لها ..

واسْتمرَّ الْحالُ على ذلكَ عِدَّةَ أَشْهُر ، حتى تقاضَيْتُ آخر درِهَمٍ منْ ثمنِ تجارَتى ، ولمْ يعُدْ لى دَخْلٌ أُنْفِقُ منْه على زوْجَتى ـ كما اشْتَرطْتُ عليها ـ لكِنَّنى لمْ أَبُح لها بذلك ، وهنا وقَعَتِ الْكارِثَةُ التى كانتِ السَّببَ فى قطْعِ يَدى ..

فقالَ التَّاجِرُ :

ـ وكَيْفَ كان ذلك يا سيِّدى ؟!

فسالَتْ دُموعُ الشَّابِّ التاجرِ على خَدِّهِ وقالَ :



ـ بعْدَ أنْ نَفَدَتْ نُقوُدى ، ولمْ أعُدْ أملِكُ دِرْهمًا ،

هانتْ علىَّ نَفْسى ، وصارتْ ذليلَةً بعدَ أنْ كانتْ عزيزةً ،

فرحتُ أسيرُ فى الشوارِعِ ، وأنا أُفكِّرُ فى حيلَةٍ أعْثُرُ بها على

الدَّراهِمِ ، حتى لا ينكشِفَ فَقْرى وإفْلاسِى أمامَ زَوْجتى .. وعِنْدمَا

وصلْتُ إلى بابِ زُويْلَةَ رأيتُ زِحامًا شديدًا ، فدخَلْتُ بَيْنَ الناسِ

مُستَطْلِعًا ما يحدُثُ .. ومِنْ سُوءِ حظِّى اصطَدَمْتُ بجُنْدِىٍّ وسْطَ

الزِّحامِ ، واصْطَدَمَتْ يدى بجَيْبِه ، فتحسَّسْتُهِ ، فوجَدْتُ بداخِلِه

صُرَّةٌ فيها نقودٌ ، فمددْتُ يدى وجذَبْتُها ، بعدَ أَنْ سوّلتْ لى نفْسِى الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ سَرِقَتَها ، وأَخْفَيْتُها بسُرْعةٍ فى جَيْبِى ، وفى اللَّحظَةِ التى هَمَمْتُ فيها بالانْصِرافِ شعَرَ الْجُنْدِيُّ بضَياعِ نُقُودِه ، فأَمْسَكَ بى ، وضَربنى بِرُمْحِهِ على رأْسى وهو يصيحُ : اللِّصُّ .. اللِّصُّ .. فسقَطْتُ على الأَرْضِ ، وأَمْسكَ الناسُ بى ، وأَخذَنى الْجنْدِيُّ إلى الْقاضى وقالَ له : لقدْ سرَقَ هذا الشَّابُّ مِنْ جَيْبِى كيسًا به عِشْرُونَ دينَارًا .. فقالَ الْقاضِى : هلْ معكَ شاهِدٌ راَهُ وهو يسْرِقُ مِنْكَ الْعشرينَ دِينارًا ؟! فقالَ الْجندىُّ : لا ، ولكنْ فتِّشْهُ حتى تتأكّدَ منْ صِدْقِ كلامى ..

فأَمرَ الْقاضِى بتَفْتِيشِى ، وأَخْرجوا الْكيسَ وبه الْعشرونَ دِينارًا مِنْ جَيْبِى .. ولما سأَلنى الْقاضى عمَّا إذا كُنْتُ قدْ سرَقْتُها مِنَ الْجندىِّ ، لمْ أَستَطعْ أَنْ أُنْكِرَ .. وهكذا أَمرَ الْقاضى بقَطْعِ يدِى .. وهكذا حدَثَ ما حدَثَ ..

وأَشْفَقَ علىَّ الْجُنْدِيُّ ، فقالَ لى : أَنتَ شابٌّ مَليحٌ ، ولا يجبُ أَنْ تكونَ لِصًا .. ثمَّ أَعْطانِى الْعشْرينَ دينارًا وانْصرفَ ..



فغِبْتُ عَنِ الْبَيْتِ عِدَّةَ أَيامٍ حتى ضمَدْتُ جُرْحَ يدى ، ولَفَفْتُها فى قُماشٍ ، ثمَّ أَدْخلْتُها فى جَيْبى ، وعُدْتُ إلى الْبيتِ شاحِبَ الْوَجْهِ ضعيفًا ، وما إنْ دخَلْتُ غُرفتى ، حتى أَلْقَيتُ بنفْسِى على الْفِراشِ فى إغْياءٍ ..

ولاحَظَتْ زوْجَتى ذلك ، فسأَلَتْنى عنْ سرِّ تَغَيُّبى عَنِ الْبيتِ ، وعنْ سببِ ضعْفِى وهُزَالى ، فقُلْتُ لها إنَّنى مَرِضْتُ ، وهذا الأَلَمُ الذى أَشْعُرُ به هو منْ صُداعٍ رَهيبٍ أَلمَّ برأْسِى ..

لكنها لمْ تصدِّقِ الْقِصَّةَ الْمُلَفَّقَةَ التى حكَيْتُها لها ، وأَخذتْ تبْكِي مِنْ أَجْلى ، وتسْتَحْلِفُنى باللَّه أَنْ أُصارِحَها بالْحقيقةِ .. وعِنْدمَا أَحْضرَتْ لِى الطَّعامَ خشِيتُ أَنْ آكُلَ أَمامها بيَدِى الشِّمالِ ، حتى لا تُلاحِظَ ما حدثَ لِيدى الْيُمْنىَ .. وعنْدما شعَرْتُ بالْعطَش ، طلَبْتُ منها ماءً ، فأحْضَرَتْ لى الْقدْحَ ، فتناولْتُهُ مِنها بيدى الشِّمالِ وشرِبْتُ ، فلمَّا رأَتْ ذلك علِمَتْ أَنَّ يدى الْيُمْنَى قدْ أَصابها مَكْروهٌ ، فأَخذتْ تبْكِي مِنْ أَجْلى ، وتَرْجونى أَنْ أَبوحَ لها بالْحقيقةِ ..

وهكذَا بُحْتُ لها بما حَدثَ ، وأَخْرَجْتُ الكيسَ الذى به الدَّنانيرُ التى كانتْ سَببًا فى قطْعِ يدىِ ، وقدَّمْتُه لها ، فحزِنَتْ حُزْنًا شديدًا ، وقالتْ : لِتَعْلَمْ أَنَّ كلَّ النُّقودِ التى أَعْطَيْتِنى إِيَّاهَا موْجودةٌ بكامِلِها فى الْخِزانَةِ ، ولمْ أَمَسَّ مِنها دِرهمًا واحدًا ، لأَنَّ عِنْدى الكَثيرَ والكْثيرَ منَ النُّقودِ .. لقدِ ادَّخَرْتُها لكَ بكامِلِها ، ولوْ أَنَّكَ صارَحْتَنى بما حَدثَ مِنْ نَفَادِ نُقودِكَ ، لكنْتُ قدْ أَعْفَيْتُكَ مماحدَثَ لكَ ..

وسكتَ الشَّابُ التَّاجِرُ قليلاً .. ثمَّ واصلَ حكايَتَهُ قائلاً :



ـ لقدْ كانَ ما حدثَ لى منْ قَطْعِ يدى سببًا فى حُزْنِ زوْجَتى ومَرَضِها مَرَضًا شديدًا ، ولمْ تعُدْ قادِرَةً على مُغادرةِ الْفراشِ ، حتى أَشْرَفَتْ على الْموتِ ، فأَحْضَرَتْ شهُودًا وكَتَبتْ لى جَميعَ أَمْوالِها وأَمْلاكِها ، وأَشْهَدَتْهُمْ على ذلكَ .. وكانَ مِنْ بينِ ذلكَ مَخْزَنُ السِّمْسِمِ ، الذى طلبْتُ منكَ أَن تبيعَنِى إِيَّاهُ ..

وانْتهَى التَّاجرُ منْ حكايَتِهِ ، مُخاطِبًا الْملكَ بقَوْلِهِ :

ـ هذه هى الْحكايَةُ التى عشْتُها معَ ذلك الشَّابِّ الْبائِسِ يا مَوْلاى ،

وهى حكايَةٌ أَعْجَبُ منْ حِكايةِ موْتِ مُهرِّجِكَ الأَحْدبِ يا مَلِكَ الزَّمان ..

فلما سمعَ مَلكُ الصّيِنِ كلامَ التَّاجرِ قال فى غضبٍ :

ـ هذهِ الْحِكايةُ ليْسَتْ بأَعْجَبَ منْ مَوْتِ مُهرِّجى الأَحْدبِ أَيُّها الأَحمقُ ، ولَئِنْ لمْ تأْتونى بحكايةٍ أَعْجَبَ مِنْها أَمرْتُ بشَنْقِكُمْ جميعًا ..

تملكَ الرُّعْبُ الرِّجالَ الأَرْبعَ الْمُتَّهمينَ بقتْل الْمُهرِّج الأَحْدبِ ، مُضْحِكِ الْملكِ ، منْ هذا التَّهْديدِ ..

وهنا تقدَّمَ الْخياطُ ، الذى كانَ سببَ موْتِ الأَحْدبِ وقالَ :

ـ لوْ أَذِنَ لى مَلِكُ الزَّمانِ ، حكيْتُ له حكايةً أَعْجَبَ مِنها ..

فصرخ الملك ناهِرًا :

ـ وماذا تَنْتَظِرَ أَيُّها الأَحْمقُ .. قدْ أَذِنْتُ لك ، فاحْكِ حِكايَتكَ ..

(يتبع)

رقم الإيداع :٧٩٦٩/ ٢٠٠١

الترقيم الدولى : X ـ ٦١٢ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧